خارج العاصمة

قـــــوّة الأســـــمـــاء

محمد خضير

"إلى أرض الأحياء، أعلن السيد عزمه على السفر،
السيد (جلجامش) صمم على المضي إلى ارض الأحياء،
فقال لخادمه (أنكيدو): يا أنكيدو،
إن الأجرّ والختم لم يعلنا بعد النهاية المقدرة،
لقد عزمتُ دخول تلك (الأرض) وأريد ان أخلد اسمي (هناك).
في المواضع التي أقيمت فيها (الأسماء) سأقيم اسمي،
وفي تلك المواضع التي لم تُقم فيها الأسماء بعد، سأقيم أسماء الآلهة."

(من ألواح سومر في الألف الثالث قبل الميلاد)

أين تكمن أصول الأسماء المتغيرة، التي خلدت كرموز للقوة والخصب والموت؟ حقاً إن عالمنا اليوم تحكمه الأسماء المجموعة في حاسوب كوني مملوك لقوة خفية عظمى. وهذا الفرض شبيه فرضنا بأن العالم القديم ربما حكمته الأرواح العملاقة. كانت الأقوام الساميّة والحاميّة تحتمي بقوة الاسم، وكان سرجون الأكدي (٢٥٠٠ ق.م) ـ ملك العالم القديم ـ يملك أسماء إضافية بعدد أسماء الإله مردوخ الخمسين، وسمّيت مع الملكة كليوباترا أكثر من ثلاثين امرأة في مصر البطلمية بهذا الاسم. وراء هذه الأسماء تتحرك صفات، وتسيطر كُنى وألقاب على مصير الملوك المنتسبين إلى أجداد عمالقة، كهذا الاسم الكنعاني (نعمن غلم إيل) أي (نعمان= الجميل الناعم غلام الإله)، أو كهذا الاسم الآرامي (كيلامو برحي) أي (كلمو بن حيّ)، أو الاسم السبأي (كرب إيل وتر)، أو الاسم النبطي (عبد دوشرا) أي (عبد ذي الشرى) وذو الشرى صنم، أو اسم الملك العربي (امرئ القيس بن عمرو).

أستطيع أن أتحكم بقارّة سردية واسعة، فيما لو امتلكتُ سلطة التحكم بأسماء شخصيات قصصي، وتركيب سلسلة أسماء تمتد جذور الواحد منها إلى (أرض الأحياء) القديمة. لا أعرف المصدر الوثائقي أو الشفاهي الذي يكوّن القصاصون منه أسماء شخصياتهم، فقد يكفيني قاموس مثل (المنجد في الأعلام) أو كتاب في (الأنساب) كي أكوّن اسماً طويلاً مضارعاً لأسماء المقامات والسير الشعبية. أما إذا تبعتُ طريقة قصاصينا الذين طاردوا شخصياتهم المهاجرة إلى المدينة، فقد ألجأ إلى وثيقة مواريث تقسّم حقوق مئات الأسماء ذات الأصول الطوطمية، وانتزعُ هذا الاسم منها: بريص بن حطحاط بن صخل الرويثي. لكن اسماً مثل هذا لن يدخل قصصنا إلا بجهد جهيد ومطاردة مهلكة، فحاسوبنا الكوني الذي يجمع أسماء الكائنات البشرية قاطبة ويحدّث بياناتها ساعة بساعة سيكون لنا بالمرصاد قاطعاً الطريق أمام رحلتنا الخاصة إلى أرض الأجداد العمالقة. إننا نفقد يوماً بعد يوم الصفات الفريدة التي ألهمت جلال الدين الرومي عشقَ اسم صاحبه وأستاذه شمس الدين التبريزي في هذا البيت الشعري: "وحديث شمس الدين مفخر تبريز الصفاء، يجده المزاج الحار، وليس هذا بعمل الأفاويه". ونحن نجد مع الاسم المعشوق حديث الصفات المذخورة في أسماء (امرئ القيس) و(ذي الشرى) و(ذي حي)، تلك التي يستنزلها (المزاج الحار) من عالم الأرواح العملاقة. رأى الدكتور إبراهيم السامرائي في دراسة عن (الأعلام العربية) أن قرويي جنوب العراق يطلقون على أولادهم أسماءً لا معنى لها من قبيل (مرداو) و(شليهم) و(شبرم)، وقد نجد بينهم من يختار لولده اسم (بلاسم) الذي يعني (بلا اسم) إمعاناً في إخفاء حقيقة الشخصية، أو تغليفها بهوية متعددة المعاني، لغرض يلتقي بالتفكير الأرواحي القديم. ثم لما هاجرت هذه الأسماء من مناطقها الأصلية إلى المدينة، بحثاً عن العمل أو طلباً للعلم، اقتبسها القصاصون ليوشّوا بها حياة شخصياتهم المقطوعة الجذور عن مواطن الآلهة. امتهنت الأسماءُ المهاجرة أعمالاً وضيعة، وسقطت من عليائها في قاع المدينة. فالمهاجر الذي سرق أسرار الآلهة، وتخفّى وراء أسمائه المتعددة، عوقب بحبسه مع المخلوقات الشقية الضائعة في جحيم العالم الأسفل. لم ير قصاص المدينة سوى المظهر واللهجة والسلوك الفطري الفظ من سليل الآلهة، لأن اسمه الطوطمي حجب عنه حقيقة (المزاج الحار) وراء تلك الصفات واللهجات. دفعت الأسماءُ المهاجرة ثمناً مضاعفاً لقاء اندماجها بعالم سردي واهي الجذور، ودخولها إلى الحاسوب الاجتماعي مع الشرائح الفقيرة المطالبة بالعمل الوظيفي والترف المديني. كان شرط اندماجها مرهوناً بتخلّيها عن غطاء أسمائها حيث صارت عودتها أو نسيان أصلها غير ممكنين.

استمرّ عزل المخلوقات شبه الإلهية أمداً طويلاً إلى أن بدأت أجيال منها التمرد على آبائها والتخلي عن ازدواج أسمائها الطوطمية، الحارسة لشخصياتها، والتجمع في طبقة أخذت بالصعود الحثيث ومصاهرة برجوازية المدن والتشبه بعاداتها وصفاتها وأسمائها. وبينما كانت الرغبة الأصلية تستعر وتدفع بأبناء الآلهة إلى الرحيل وراء أرض الأحياء في موجات متتابعة، كان الاندماج السريع يجردها من صفاتها وأسمائها ويشركها في صراع الطبقات المهلك منذ الخطوة الأولى، قبل أن يلتقطها قصاص المدينة ويهجّن نقاءها أو يرميها في غربة أخرى. الموجة تلو الموجة، والأسماء محفوظة في ذاكرة حاسوب جبّار.

في معرض من مئة لوحة وكتاب وفيلم

الـفـنـانـون الـهـولـنـديـون يـحـتـفـون بـسـتـار كـاووش

صلاح حسن
شمال هولندا

في أمسية جميلة وأجواء احتفالية ملونة احتفى إتحاد الفنانين الهولنديين بالفنان العراقي ستار كاووش بمناسبة مرور عشر سنوات على وجوده في هولندا واقام له معرضا احتفاليا كبيرا على قاعة الإتحاد في مدينة (Assen) شمال هولندا للفترة من ١٩- ٥ ولغاية ٣٠- ٦ . حضر المعرض العديد من الفنانين والمهتمين بالفن حيث ضم المعرض ما يقارب من مائة لوحة هي عبارة عن مختارات من اللوحات التي رسمها كاووش في السنوات العشر الماضية . خلال المعرض تم توقيع الكتاب الجديد الذي صدر عن الفنان الذي جاء تحت عنوان الرسام الغامض (Mystery of a painter) بالألوان وبطباعة فاخرة ، وقد صدر الكتاب عن مؤسسة (Woest en Ledig) باللغتين الهولندية والإنجليزية وقد كتب مقدمة الكتاب البروفيسور ميشيل فان مارسفين مدير متحف (درينته) الذي قام كذلك بافتتاح المعرض ايضا . وقد تم اختياره ليوقع له كاووش على النسخة الأولى من الكتاب حسب التقاليد الهولندية ، حيث يتم اختيار شخصية معينة تتسلم النسخة الأولى من الكتاب الصادر حديثا . وقد احتوى الكتاب على مائة لوحة أغلبها كان ضمن محتويات المعرض .

الأجواء العامة للمعرض تمثل نساء غافيات ، حيث تنتشر الألوان على شكل دوائر وبقع ملونة تضيء المشهد العام للمعرض بأسلوب يمزج بين (الآرت نوفو) و الواقعية السحرية و الرمزية . وقد نفذت اللوحات بمادة الأكريليك وبطبقات شفافة من اللون الواحدة فوق الأخرى تتناسب مع نعومة النساء وإيماءات أياديهن ، تختفي الوجوه خلف خصلات كثيفة من الشعر المتموج وستائر شفافة ينساب من خلالها الضوء .

من لوحات المعرض و الكتاب ، حلم قرب النافذة ، الثوب الأحمر ، رسالة إلى ساسكيا ، الليلة الأولى ، الأفق الأخضر ، الفردوس و القناع الأحمر.

هناك حجوم غير مألوفة لبعض الأعمال مثل اللوحات الدائرية و اللوحات المستطيلة جدا ثم اللوحات المكعبة التي تشبه الصناديق ، وهناك أعمال طويلة تماما معروضة على الأرض وأخرى مرسومة على مراوح شرقية كبيرة حيث تنساب الشخصيات المرسومة مع حجم وتصميم المروحة . الألوان و التقنيات التي نفذت بها لوحات هذا المعرض تخرج من حدود قماشات الرسم لتغطي الإطارات التي تحيط بالأعمال وبهذا تصبح الإطارات جزءا من اللوحات وليست مقحمة على اللوحات أو مكملة لها .

يقام هذا المعرض بعد أكثر من ثلاثين معرضا أقامها كاووش في هولندا إضافة إلى المعارض التي أقامها في ألمانيا و السويد وفرنسا و أمريكا وإيطاليا ودول أخرى . وقد عرض أثناء الافتتاح فيلم قصير عن الفنان كاووش ، كان قد عرض قبلها في التلفزيون الهولندي .

لا تعتمد لوحات هذا المعرض على الخطاب البصري ومعالجة سطوح اللوحات فقط ، فإضافة إلى التقنيات المتفردة هناك أجواء سحرية وحكايات تغطي أجواء المعرض وتغلف اللوحات كما فعل شاغال على سبيل المثال حين رسم الفلكلور وحكايات القرى الروسية ولوحات بيكاسو الزرقاء المليئة بحكايات البؤساء والمعذبين .

ما يهم كاووش هنا هو رسم لوحة جميلة وأخاذة تؤثر في المشاهد ، فالرسم بالنسبة له هو الكتاب الذي يكتب فيه يومياته لكن بطريقته الخاصة فهو يعيش كل لحظاته مع الرسم ولأجل الرسم .

ومثلما رسم بورتريهات عديدة لشعراء هولنديين يعرفهم جيدا رسم بورتريت لحبيبته (Alie) كما فعل معظم الرسامين في تأريخ الرسم . ألم يرسم جواد سليم بورتريت لورنا .

في النهاية هو ينتج أعمالا هي تأريخه الشخصي قبل أن تكون جزءا من تأريخ الفن ، الأسلوب هو الرجل .

حين نتطلع إلى لوحات المعرض أو الكتاب نتأكد بشكل قاطع بأن الفن هو خيال فيه شيء قليل من الواقع ، تماما كما في لوحة كاووش (الجمال النائم) التي تمثل إمرة ساهمة تضع يدها تحت وجهها وتهبط عليها من الأعلى دوائر صغيرة ملونة تشبه ندف الثلج وكأنها في رؤيا أو حلم في حين ينساب شعرها الأسود من أعلى اللوحة إلى نهايتها.

ولهذا فحين يفكر الفنان بإمرأة جميلة فهو يحاول أن يحافظ على هذه اللحظة المتخيلة التي يعيشها.

ستار كاووش واحد من الفنانين العراقيين الذين استطاعوا أن يثبتوا أسماءهم بشكل جيد في الوسط التشكيلي الهولندي وهو مع بضعة فنانين آخرين يشكلون قلادة جميلة تمثل الفن العراقي في الخارج .

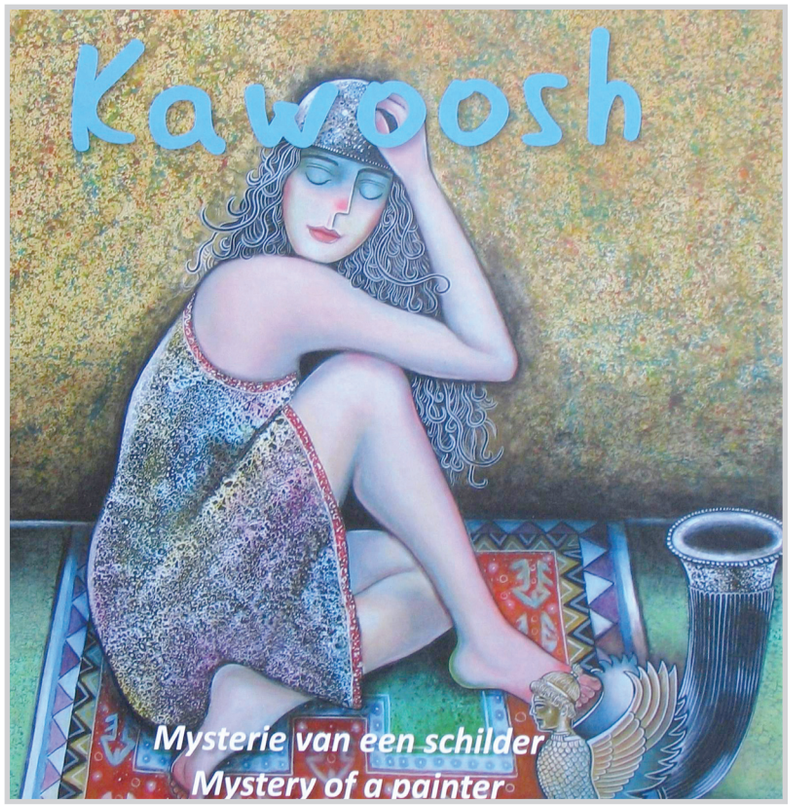

تهدف للحفاظ على تأريخ وتراث المدينة

إطلاق مشروع كتابة (موسوعة الحلة الحضارية)

بابل / بشار عليوي

بهدف الحفاظ على تأريخ مدينة بابل الحضارية والحلة الفيحاء ، إحتفى مركز بابل للدراسات الحضارية والتأريخية التابع لجامعة بابل بإطلاق مشروع كتابة (موسوعة الحلة الحضارية) في إحتفال كبير بالمناسبة أُقيمَ على قاعة الجامعة . حيثُ بدأ الإحتفال الذي تضمنَ إقامة معرضٌ مخطوطات عُلماء الحلة ومعرض صور حليّة للفنان عبد الرحيم الفتلاوي ومعرض إصدارات مؤسسة دار الفرات ، بكلمة لرئيس المركز د. بدر ناصر حسن جاء فيها ... إنَ موسوعة الحلة هي موسوعة علميةٌ تبحث في مُختلف الموضوعات الخاصة بمدينة بابل الحضارية والحلة الفيحاء مُنذُ تأسيسهما وحتى الوقت الحاضر ، إذ تشملُ تسليط الضوء على مُختلف المراحل التأريخية لبابل من خلال التعرض الى مُختلف الأحداث التي جرت خلال تلك المراحل التأريخية من أحداث سياسية واقتصادية وإجتماعية وغيرها وكذلك بدايات تأسيس مدينة الحلة وأهم الأحداث التي مرت بها هذه المدينة سواء الدور التأريخي والحضاري لهذه المدينة وما مثلتهُ من دور مُهم في الحَضارة الإنسانية من إسهامات أبناء الحلة في مُختلف المراحل التأريخية القديمة والحديثة والمعاصرة وكذلك مُساعدة المُهتمين بالحلة على معرفة الشيء الكثير من تأريخها الحضاري وقد أخذَ مركز بابل للدراسات الحضارية والتأريخية على عاتقه إصدار هذه الموسوعة التي ستُكتب على غرار الموسوعات العالمية . أما رئيس الجَامعة د. نبيلَ الأعرجي فقالَ في كلمته .. باشرت الجامعة مُمثلةً بمركز بابل ، بكتابة هذه الموسوعة الشاملة لتكون موسوعَة تأريخية وإقتصادية وإجتماعية وثقافية وعلمية وفنية تبحث في مُفردات تأريخ بابل أولى الحضارات ومدينة الحلة الفيحاء وحتى عصرنا الحاضر وقد عهدنا بهذا المشروع المُهم الى مجموعة طيبة من أساتذة جامعتنا ومن خارجها في وضع مُفردات علمية تكون مفاتيح الكتابة وبذلك تكون هذه الموسوعة هي إحدى الموسوعات العلمية ، ونأمل أن تتسع موسوعة الحلة لحضارية لجميع أبناء الحلة والعراق للمُساهمة في كتابتها . تلا ذلك إستعراض المُفردات من قبل رؤساء لجان المحاور السبعة للموسوعة ، حيثُ ضمَ المحور الجغرافي ، الجغرافية السياحية والتجارة والجغرافية الصناعية والطبيعية والزراعية والري والبزل والسكان والمدن والجغرافية التأريخية . ومحور التأريخ القديم ضمَ جغرافية بابل القديمة وبابل في عصور ما قبل التأريخ وبابل في العصور الحديثة والتأريخ السياسي وبابل من السقوط الى الفتح الإسلامي بالإضافة لإستعراض الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية . وفي محور التأريخ الإسلامي فقد ضمَ الإمارة المزيدية في النيل وتمصير الحلة والإمارة المزيدية في الحلة وأمراءها وإدارة الحلة والحياة الإجتماعية فيها خلال تلك الفترة ومكونات المجتمع الحلي وطبيعة إقتصاد المدينة والحياة الفكرية والثقافية وأعلام المدينة . ومحور التأريخ الحديث من خلال إستعراض تأريخ الحلة منذُ السيطرة التُركمانية (١٤١٠ــ١٥٠٨م) مروراً بفترة الإحتلال البريطاني للعراق حتى عام ١٩٦٨ . وفي محور الشعر ستتم الكتابة عن شعراء الحلة منذ تأسيسها أما في محور اللغة فضمَ آثار عُلماء اللُغة الحليين وجهودهم في المستوى النحوي والدلالي . وضمَن محور الفنون ، فسيتم إستعراض الفنون التشكيلية في العصور القديمة والإسلامية والعصور الحديثة وكذلك دراسة الأزياء في مدينة بابل والحلة وتطورها عبر العصور ، بالإضافة الى الفنون المسرحية . ثُمَ فتحَ باب الحوار والنقاش مع الحاضرين حيثُ شارك في المُداخلات حول مُفردات الموسوعة ، مُحافظ بابل سلمان الزركاني ورئيس مجلس المحافظة كاظم تومان ومزاحم الجزائري

بـــيـــوت ونـــيـــاســـم

عواد ناصر

باتَتْ على نَيْسَم(×) خَلٌ
جازع..... وَعْثِ النِّهاضِ قاطِعِ
المَطالِعِ
شاعر مجهول

١- يه ك ماله (البيت الوحيد، باللغة الكردية) (××)

بعد مسيرة ثلاثة أيام، نحو "يه ك ماله"، مع حقائب ظهر ثقيلة، وأحذية كسرتها الصخور وثلوج تغمرنا حتى الخصور.. بنادقنا جدّ ثقيلة على أكتاف رخوة، الذكريات كانت ثقيلة أيضاً، الأحلام أكثر ثقلاً، المواشي من حولنا لا تعير اهتماماً لحقول الألغام، الربايا العسكرية تحدق في ما تحت ملابسنا الداخلية، دليلنا ليس سياحياً بالطبع، كان يدخن بشراهة حتى وهو يقطع الجبل إلى نصفين بينما طائرات (ميغ) وسمتيات تفتش عن أي قملة في ملابسنا لتخلصنا منها، وأخيراً..
بعد ثلاثة أيام بلغنا (يه كْ ماله) بيتاً كان علينا أن نبنيه،
لم يكن، ثمة، بيتٌ.

لندن – ١١ نيسان (أبريل) ٢٠١٠

٢- نيسمُك

الطريق إلى البيت أكثر إثارة،
البيت سكنٌ وعادات، الطريق حركة، الطريق عاطفة تمشي باتجاه حلم ما.. أجمل الطرق نيسمٌ يشق نفسهُ حسب خبرات العابرين في البرية،
النيسم أخطر الطرق عندما، بالكاد، يتسع لخطواتنا الغشيمة، بضعة سنتيمترات خارج النيسم تعني الموت،
زرعوا الأرض، كلها، حقول ألغام
كي لا نزرع حتى برسيماً للمواشي...

لندن ١١ نيسان (أبريل) ٢٠١٠

٣- نيسمٌ رومانسي

طريقي إليك على قدر خطوتي القلقة
نيسمٌ في ممّر الهوى الصعب، والقلبُ ليس الدليل
مُرّةٌ في مذاق الليالي النجومْ
(لأنك لم تفهميني)
حلوةٌ في مذاق النجوم الليالي
(لأنّك حلمي القليل)..
مرةً، قلت: علمتني السحرَ كيما أكون أنا (امرأة) تستحقّ أنوثتَها
وأنا قلتُ: أنت التي جعلتني أفكّكُ نصّي لأجعلَ من مدنٍ نحنُ سكّانها،
هل أضعْنا السَّبيلْ؟

لندن ١١ نيسان (أبريل) ٢٠١٠

٤- بيتُ الزوجية

كلُّ شيءٍ على ما يرامْ
الصحونُ التي غسلت أول الليل،
والبيرة باردةٌ باردةْ
الحديقةُ قصتْ حشائشَها والسياج الخشبْ
لا يبارح صورته كسياج خشبْ
الأواني على الرفّ صفتْ على نسق كالجنودْ
الكؤوس عل كتف الحوض مجلوةٌ (لا غبار عليها)..
وعلى الطاولة..
قهوة مرة (حلوة؟)..
بعد عشرين عاماً ولم تعرفي قهوتي!
طاولاتٌ
كراس
شراشفُ،
الدجاجةُ في الفُرن
حتى الغسيلُ الذي تنشرينَ (على الحبل أو فوق بعض الكراسي)
سينشفُ،
أو نصفُ ناشفْ..
وأنا أبحثُ عنك
أنت، أيضاً، كما أتوقعُ، قد تبحثينَ عن الزوج
تحت هذا الركامْ..
وعن الغصنِ بين الحُطامْ
حسناً،
كلُّ شيءٍ على مايرامْ
كل شيءٍ على ما يرامْ....

لندن ٧ أيار (مايس) ٢٠١٠

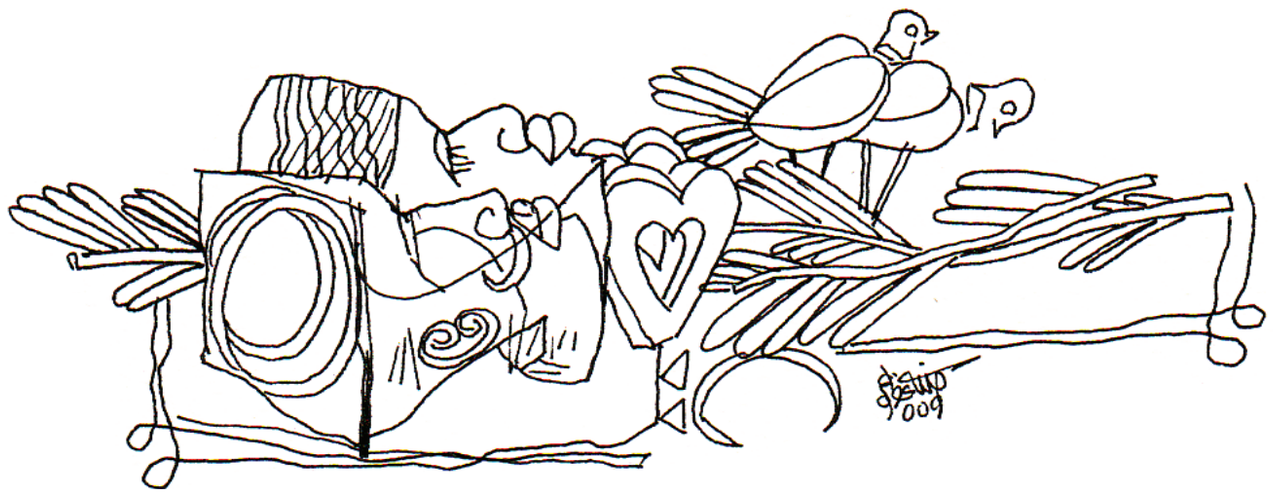

(×) النيسم: الجادة الضيقة، غالباً في البرية، درب غير واضح المعالم، أو غير بيّن. الطريق الدارس.
(××) يه ك ماله: أول مقر للأنصار للشيوعيين بلغناه على الأرض العراقية بعد اجتياز الحدود الثلاثية، سرّاً، السورية التركية العراقية. صيف عام ١٩٨١.